الفصل التاسع

التربية والاخلاق فى الاسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

ان المثل الأسمى فى التربية الاسلامية هو التربية الخلقيـــة التى تعمل على تكوين رجال مهذبين وسيدات مهذبات ، ذوى نفوس أبيةوارادة قوية وعزيمة صادقة وأخلاق عالية ، يعرفون معنى الواجب ويقومون به ، ويقدرون حقوق الانسانية ويميزون الغث من السمين والحسن من القبيح ويختارون الفضيلة حبا للفضيلة ويجتنبون الرذيلة لانها رذيلة ويراقبون الله فى كل عمل يعملونه . وحينما أراد الله أن يثنى على نبيـه الكريم خاطبه بقوله : «وانك لعلى خلق عظيم» وقال صلوات الله عليه : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنهللرسول الكريم : لقد طفت العرب وسمعت فصحاءهم فما رأيت ولا سمعت مثلك أحدا ... فمن أدبك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

ولله در المرحوم شوقى حيث يقول :

وانما الأمم الأخـلاق ما بقيت ... فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وان الغرض من التربية الخلقية فى الاسـلام تكوين رجال كريمى الاخلاق أقوياء العزيمة مهذبين فى أقوالهم وأفعالهم نبلاء فى تصرفاتهم وخلقهم ، ديدنهم الحكمة والكمال والآداب والاخلاص والطهارة ! فروح التربية الاسلاميةهى التربية الخلقية .ولقد أجمعفلاسفة التربية الاسلامية على أن الغرض الخلقى الذى يجب أن يرمى اليه المربى هو الغرض الحقيقى من التربية التى يصح أن نطلق عليها ذلك الاسم وليس معنى هـــذا أن نقلل العناية بالتربية الجسمية أو العقلية بل معناه أن نعنى بالناحيـــة الخلقية الاسلامية وتكوين الخلق الكامل كما نعنى بالناحيـــة الجسمية والناحية العقلية والعلمية فالطفل فى حاجة الى قوة فى الجســـم والعقل والخلق بحيث يعنى بجسمه ويفكر بنفسه ويبحث وراء الحقيقة ويقول الحق ويدافع عن الحق ويخلص فى عمله الاخلاص كله ويضحى بمصلحته فى سبيل المصلحة العامة ويتمسك بالفضيلة ويتجنب الرذيلة .

وقد اتفق علماء التربية الاسلامية على أن العـــلم الذى لا يؤدى الى الفضيلة والكمال لا يستحق أن يسمى علما وانه ليس الغرض من التربية والتعليم حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات بل الغرض تهذيب الأخلاق مع

العناية بالصحة والتربية البدنية والعقلية والوجدانية والعملية ، واعداد الطفل للحياة الاجتماعية · فالاخلاق الكاملة هى الغرض الاول والأسمى من التربية الاسلامية فليس الغرض من تعليم الطفل أن نعلمه من العلم مالم يعلم بل الغـرض أن نبث فيه الفضيلة ونعـــوده الاخلاق الكريمة والآداب الاسلامية والمعاملة الحسنة حتى تكون الحياة طاهرة ·· كلها طهارة واخلاص ·

وان التربية الاسلامية توجب على المدرس أن يذكر دائما اننا لسنا فى حاجة الى العلم وحسب ولكننا فى حاجة دائما الى الاخلاق الفاضلة كما يذكر أن تكوين العادات الخلقية الحسنة فى المتعلمين من التمرن على البر والتقوى والصدق فى القول والوفاء بالوعد والاخلاص فى العمـــل وأداء الواجب ومساعدة الضعيف والاعتماد على النفس والمثـــابرة على العمـل والمحافظة على الوقت · ومراعاة العدالة فى كـل أمر أكثر فائدة لهم من حشو أذهانهم بمعلومات نظرية ربما لا يحتاجون اليها فى الحياة العملية· وكما أن الوقاية خير من العلاج فى عالم الطب فالمحافظة على الاخلاق الفاضلة خير من اصلاحها فى عالم الاخلاق ·

وتتطلب التربية الاســـلامية من المعلم أن يتخذ التعليم والدروس وسائل نافعة فى تكوين العادات الحسنة لدى المتعلم وفى تهذيب أخلاقه واحياء ضميره وتقوية ارادته وتربية حواسه وتوجيه ميوله الفطرية الى الطريق المستقيم وتعويده فعل الخير واجتناب الشر ·

العناية بالتربية الخلقية من الطفولة :

لقد أحس فلاسفة التربية الاسلامية بأهمية المرحلة الاولى من الطفولة فى التربية الخلقية وتعويد الاطفال العادات الخلقية الحسنة من الصـغر واتفقوا جميعا على ضرورة العناية بتربية الاطفال تربيـــة كاملة فى أول مرحلة من حياتهم · فقديما قالوا : « التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر، والتعلم فى الكبر كالنقش على الماء » ولا عجب فقد قال فلاسفة التربيـــة الحديثة فى القرن العشرين ان الطفل يأخذ الطابع الذى يلازمه طول حياته فى السنوات الخمس الاولى · وفى هذا المعنى قال ابن الجوزى فى كتابه « الطب الروحانى » : أقوم التقويم ما كان فى الصغر فأما اذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعبا » ومعنى هذا ان التربية الخلقية المثلى يجب أن تبدأ فى البيت والأسرة من الصغر ولا يترك الطفل من غير تربية وتقويم وتهذيب بل يربى فى الطفولة حتى لا يعتاد عادة من العادات

القبيحة فانه اذا ترك وطبعه وأهمل ولم يهذب واعتاد عادات سيئة كان من الصعب رده عن تلك العادات وحمله على تركها فالوقاية خير من العلاج.

وسائل التربية الخلقية فى الاسلام :

ان للتربية الخلقية فى الاسلام وسائل منها :

١ ـ الطريقة المباشرة وهى طريقة الوعظ والارشاد والنصح وذكر الفوائد والمضار بأن توضح للمتعلمين الامور النافعة والضارة وتعظهم وترشدهم الى الخير وتحثهم على التحلى بمكارم الاخلاق وتجنب الرذائل . وكثيرا ما يستعمل الشعر للاغراض الخلقية لأوزانه الموسيقية وعباراته الجميلة وقافيته المؤثرة وقوة تأثيره فى النفوس . ولهذا تجد الكتب الاسلامية فى الأدب والتاريخ مملوءة بالحكم والوصايا والمواعظ ويتبع الامريكيون بالولايات المتحدة هذه الطريقة فى التربية ولنذكر هنا بعض الحكم والوصايا المعروفة فى تربية الاطفال تربية خلقية .

الأدب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين ، والتوفيق خير قائد ، والاجتهاد أربح بضاعة . ولا مال أعود من العقل . ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا ظهير أوثق من المشورة . ولا وحدة أوحش من العجب .

وقد أوصت اعرابية ابنها وقد أراد سفرا فقالت :

أى بنى اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة بين المحبين . واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا . وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ... واياك والجود بدينك والبخل بمالك . واذا هززت فاهزز كريما يلن لهزتك . ولا تهزز اللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها . ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحت من غيرك فاجتنبه فان المرء لا يرى عيب نفسه ... والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم . ومن جمع العلم والسخاء فقد أجاد ربطتها « ملاءتها » وسربالها .

٢ ـ الطريقة غير المباشرة فى التربية الخلقية وهى طريقة الايحاء كأن يلقن الاطفال أحسن الشعر فى الحكم وأحسن النصائح والاخبار ويمنعوا النظر فى الشعر السخيف وما فيه من ذكر العشق وأهله . ولا عجب فقد كان علماء التربية الاسلامية يؤمنون بأثر هذه الحكم والنصائح والقصص فى تهذيب أخلاق الاطفال لانها تعتمد على الايحاء الخارجى وقد أثبتنا فى علم النفس أن له أثرا كبيرا فى تربية الاطفال فهم يصدقون كل ما يسمعون ويثقون فى كل ما يقرءونه فى كتبهم . ويتأثرون بتلك الاشعار

والحكم العربية والوصايا الخلقية • وفى استطاعة المدرس أن يوحى الى الاطفال كثيرا من الاخلاق الفاضلة كالصدق فى القول والأمانة فى العمل والعدالة فى الحكم والصراحة والشجاعة والاخلاص •

٣ ـ الانتفاع بما لدى الاطفال من ميول وغرائز فطرية فى تربيتهم تربية خلقية فعندهم مثلا ميل لمحاكاة من يتصلون بهم فىأقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم • ولهذا كان فلاسفة الاســـلام يتطلبون من مؤدب الاطفال أن يكون متحليا بالفضيلةمعروفا بالاخلاق النبيلةمتجنبا للرذيلة• وفى هذا المعنى قال عتبة بن أبى سفيان يوصى مؤدب ولده :

« ليكن اصلاحك ابنى اصلاحك لنفسك فان عيوبهم معقودة بعيبك فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح ما استقبحت ••• » وبالمثـل أوصى ابن سينا الفيلسوف الطبيب : «أن يكون مع الصبى فىمكتبه صبية حسنة آدابهم مرضية عاداتهم لان الصبى عن الصبى ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس » فالتلميذ يحاكى أستاذه وزملاءه قصدا ومن غير قصـــد فيما يقولون وما يفعلون ويأنس بما يأنسون ويشاركهم فيما يشعرون •ولهذا يوصى ابن سينا باختيار البيئة التى تتصل بالطفل ويتصـــل الطفل بها واختيار الاطفال المهذبين الذين يختلط بهم فى المدرسة • وقد صدق ابن سينا فى قوله « وثبت فى علم النفس أن الطفل بطبيعته يحاكى ما يحدث فى المجتمع الذى يحيط به حسنا كان أو قبيحا فهو يحاكى من يعيشون معه أو يتصلون به من حيث لا يشعر ولا يشعرون • لهذا أوصى ابن سينا بما ينادى به علم النفس اليوم ـ بأن المقلد يجب أن يكون قدوة طيبـــة ونموذجا حسنا حتى لا يترك أثرا سيئا فى نفس الطفل المقلد •

فللمحاكاة أثر كبير لا فى التعليم وحسب بل فى التربية الخلقيـة والعقلية أيضا • والتقليد عامل رئيسى فى المرحلة الاولى لتكوين العـادة فالطفل يرى الشىء يفعل أمامه فيحاكيه ويكرره حتى يصير عادة له • وانه فى الواقع يحاكى أبويه وأخواته واخوته الكبار ولكنه يكسب عن محاكاة الصغار أكثر مما يكسبه من محاكاة الكبار وهذا ما يقصده ابن سينا من قوله : ان الصبى عن الصبى ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس •

وقد استعان فلاسفة الاسلام بما لدى الطفل من ميلفطرىللاجتماع بغيره من الاطفال فأعطوه الفرصة فى أن يرسل الى كتاب أو مدرسة حيث يجد أطفالا آخرين يشترك معهم فى التعلم ويختلط بهم ويتشجع بما يراه من تقدمهم فينافسهم منافسة شريفة ويجتهد فى أن يصل الى ما وصلوا اليه من النجاح فى دراستهم•والى هذا يشير ابن سينا فىكتاب السياسة

بقوله : « ثم يحادث الصبيان والمحادثة تفيد انشراح العقل وتحل منعقد الفهم لأن كل واحد من أولئك انما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ماسمع فتكون غرابة الحديث سببا للتعجب منه والتعجب منه سببا لحفظه وداعيا الى التحدث به ، ثم انهم يترافقون ويتعارضون ·· ويتعارضون الحقوق· وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاةوالمساجلة والمحاكاة وفى ذلكتهذيب الاخلاق وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم » ·

فابن سينا قد نادى بما ينادى به علماء النفس والتربية والاجتماع اليوم من أن الانسان يميل بطبعه الى الاختلاط بغيره لانه اجتماعى بفطرته وشخصيته لا تقوى الا فى بيئة اجتماعية حيث يستطيع أن يتصل بزملائه ويشترك معهم فى عملهم ولعبهم وسرورهم وحديثهم العذب وحل ما يعترضهم من مشكلات وهذا مفيد له من النواحى الخلقية والجسمية والعقلية ، لأن الاطفال المتقاربين فى السن يشعرون بالحرية فى أقوالهم وأفعالهم ويتعلم بعضهم منبعض ويترافقون ويتعارضون ···ويتعاونون ويتبارون · ويتناظرون ويتساجلون ويحاكى كل منهم الآخر · وفى ذلك كله تهذيب لاخلاقهم وتنشيط لهممهم وتمرين لعاداتهم واتساع لخبرتهم وتجاربهم وكسب لكثير من الآراء والافكار ·

وكان المربون من المسلمين يعلمون أن لدى الطفل ميلا طبيعيا لحب الثناء والظهور فيمدحونه على ما يبدو منه من قول حسن أو فعل جميل ويشجعونه على الاستمرار حتى يحافظ على منزلته لديهم ويجتهد فى اصلاح نفسه دائما · ولم يكثروا من اللوم والذم والتوبيخ حينما يظهر حبه لنفسه ، ورغبته الشديدة فى الأكل والشرب والملابس الجميلة لان الاكثار من التأنيب يميت قلب الطفل · وان حبالنفس والنهم منالصفات المقوتة اذا زادت على حدها بعثت الاثرة فى نفس الطفل · ولهذا نصحوا المربين بالتقليل من التوبيخ واللوم واستعمال الحكمة فى معاملته فان كلمة صغيرة من المدح والثناء والتشجيع وحسن الظن تصلحه وتهذبه وتقوم خلقه لانه يحب الثناء بفطرته ويكره اللوم وتثبيط الهمم واساءة الظن به ·

تكوين العادات الحسنة فى الاطفال منذ الصغر :

لقد نادى فلاسفة التربية الاسلامية بما ينادى به علماء النفس والتربية والاخلاق اليوم من تكوين العادات الحسنة فى الطفل منذ الصغر كأن نعوده التبكير فى النوم والتبكير فى الاستيقاظ ونشجعه على المشى

والحركة والرياضة البدنية ونعوده ألا يبصق فى مجلس ولا يمخط أو يتثاءب بحضرة غيره ولا يضع رجلا على رجل وألا يكذب ولا يحلف البتة لا صادقا ولا كاذبا وأن يعود طاعة أبويه ومعلميه ٠

وهى كلها عادات صحية واجتماعيـــة وخلقية يجب على المربين أن يبذلوا جهدهم فى بثها فى نفوس الناشئين من عهد الطفولة أى فى الوقت الذى يكون فيه المجموع العصبى للطفل أشد مرونة وأكثر اســـتعدادا للتكيف ٠ وقد قيل : من شب على شىء شاب عليه٠وكما يكون الطفل يكون الرجل ٠

وتتطلب التربية الاسلامية من المربى أن يتخذ الدروس وســـيلة لتكوين العادات الحسنة لدى المتعلم وتهذيب أخلاقه وتعويده فعل الخير واجتناب الشر وتربيته تربية كاملة ٠

٥ ــ لا يمكننا أن ندعى أن المدرسة الاسلامية وحدها تستطيع أن تقوم بتربية الطفل تربية خلقية كاملة فهناك شركاء يشتركون مع المدرسة ولهم أثر كبير فى تربية الطفل كالبيت والمجتمع ٠ فلكى نصل الى المثل الأسمى من التربية الخلقية للأبناء والبنات ٠٠ يجب أن يقوم البيت بواجبه نحو هذا النوع من التربية ويجب أن يكون المجتمع كاملا لايهدم مايؤسسه البيت أو تبنيه المدرسة ٠

ولا يمكننا أن ننسى أن علماء الاسلام قد عنوا بالتربية الخلقية كل العناية فعملوا على تقويم المعوج من الأخلاق بالقدوة الحسنة والتفاهم على انفراد وانتهاز الفرصة الملائمة للتهذيب وكانوا كالطبيب الذى لايعطى الدواء الا عند المرض وكالأم الحكيمة التى لا تقدم لابنها الغذاء الا فى وقته حينما يشعر بالجوع ٠

وان من يتعمق فى التربية الاسلامية يرى أن الغرض الاسمى منها تكوين الاخلاق وتربية الروح فكل درس يجب أن يكون درس أخلاق وكل معلم يجب أن يكون معلم أخلاق وكل مؤدب يجب أن يفكر فى الاخلاق الدينية قبل أى شىء آخر ٠

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن التربية الاسلامية كانت تتطلب من المربى دائما أن يكون المثل الاسمى للاخلاق كى تثمر العظة ويكون قدوة حسنة للمتعلمين فالخلق الكامل عماد التربية الاسلامية ٠ والغرض من الحياة هو الأخلاق الكاملة ٠

ولا نبالغ اذا قلنا ان المسلم الكامل هو الرجل المهـــذب الذى يطيع

الله ورسوله ويحب أخاه كما يحب نفسه ولا يؤذى جاره ولا يمس شعور غيره ولا يحقد على أحد ويجتهد فى أن يكون عادلا فى حكمه ، ومحال أن يتذكر السيئة وينسى الحسنة • وهو الصبور على تحمل المشاق الذى لا يبالى أبدا بالآلام • يستسلم للموت لأنه مقدر ويعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا • يرجع الى الحق ولا يتمادى فى الباطل • يحترم الدين ويعمل به • يوقر رؤساء الدين وينظر اليهم بعين كلها الاخلاص والاجلال •

المسلم الكامل هو رجل الحق والصدق والوفاء والاحسان والايثار سهل الخلق ، مخلص فى عمله حسن فى نيته • هو فاعل الخير ذو الهمة العالية والاخلاق السامية • يتحلى بكل فضيلة ، ويتجنب كل رذيلة •

وان الغرض الاساسى من التربية الاسلامية أن يحيا الانسان حياة طاهرة كلها اخلاص وطهارة ، ومن الممكن أن نلخص ذلك الغرض فى كلمة واحدة هى :

« **الفضيلة** » •

ومجمل القول قد وفق علماء التربية الاسلامية فى الانتفاع بالعوامل المؤثرة فى التربية الخلقية فانتفعوا بما لدى الاطفال من الميول والغرائز الفطرية فى تكوين أحسن العادات الخلقية والوجدانية والعقلية والصحية وانتفعوا بالطرق المباشرة وغير المباشرة فى التربية الخلقية ، وكل ما نأخذه عليهم هو أنهم كانوا يميلون الى الطرق المباشرة كالوعظ والارشاد وحفظ الاشعار ، أكثر من غيرها • ولا يستطيع أحد أن ينكر ما انتفعوا به من الميول الفطرية والايحاء والقدوة الحسنة والمحاكاة والمنافسة الشريفة ، وتكوين العادات الحسنة من الصغر فى الاطفال فنجحوا نجاحا باهرا فى التربية المثالية الخلقية •

تاديب الطفل فى نظر الغزالى :

يتفق الغزالى مع ابن سينا فى أن الوقاية خير من العلاج والواجب تعويد الطفل العادات الحميدة منذ الصغر حتى يعتادها فى الكبر يقول الغزالى (١) : « •• اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور

---

(١) انظر احياء علوم الدين • الغزالى ج ٣ ص ٦٢ •

وأوكدها . والصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ... فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك .. وصيانته (١) بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ... ومهما رأى فيه مخايل التمييز « فانه » ينبغى أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحى ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحى من شىء دون شىء ، وهذه هداية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبى المستحى لا ينبغى أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه ... وان الصبى اذا أهمل فى ابتداء نشأته خرج فى الاغلب ردىء الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكيد ومجانة ، وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل فى المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس فى نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله ... ثم مهما ظهر من الصبى خلق جميل وفعل محمود فانه ينبغى أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح ويمدح بين أظهر الناس . فان خالف ذلك فى بعض الاحوال مرة واحدة ينبغى أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ... ولاسيما اذا ستره الصبى واجتهد فى اخفائه... وان عاد ثانية ينبغى أن يعاتب سرا ... ويقال له اياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا ... فتفتضح بين الناس .

ولا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه . وليكن حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح.. ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ، ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشىء مما يملكه والده .. بل يعود التواضع ، واكرام كل من عاشره والتلطف فى الكلام معهم ... ويعلم أن الرفعة فى الاعطاء لا فى الأخذ وأن الاخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من أولاد الفقراء يعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب ، فانه يبصبص فى انتظار لقمة والطمع فيها ...

---

(١) يقصد صيانة الاب لابنه .

وينبغى أن يعود ألا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ، ولايعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفيةالجلوس ويمنع كثرة الكلام ، ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة ... ويمنع الحلف رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لايعتاد ذلك فى الصغر .

ويمنع أن يبتدىء بالكلام ويعود ألا يتكلم الا جوابا ويقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا ، وأن يقوم لمن فوقه ، ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك ، فان ذلك يسرى لا محالة من قرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء ...

وينبغى أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبى ومهما بلغ سن التمييز ينبغى ألا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان .

فأوائل الأمور هى التى ينبغى أن تراعى فان الصبى بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان الى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وانى أقول صراحة من غير تعصب للغزالى بأن هذه الآراء كلها ثمينة فى عالم التربية الخلقية الحديثة اليوم ، فهو ينصح بابعاد الطفل عن قرناء السوء ويقول ان الوقاية خير من العلاج والتربية والتهذيب من أهم الأمور وأوكدها . ومن الذى يشك فى أن الطفل أمانة عند والديه وأثمن شيء فى الحياة ؟ ومن الواجب المحافظة على هذه الامانة . وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة قابل للخير والشر ، فان عود الخير وعلمه من الصغر نشأ عليه واعتاده فى الكبر وكان سعيدا فى الدنيا والآخرة . وان عود الشر وهو صغير وأهمل بدون تربية وتهذيب كما تهمل البهائم شقى وهلك فى حياته . ولصيانة الطفل والمحافظة عليه يجب تأديبه وتهذيبه وتعويده الاخلاق الكريمة وحفظه من القرناء الذين ساءت أخلاقهم وأهملت تربيتهم . وينبغى أن يراقب مراقبة حسنة مهما يكن ذكيا مفكرا يستطيع التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح . ومما يدل على تمييزه وتفكيره ظهور الحياء على وجهه والاحتشام والاستحياء وترك بعض الافعال لقبحها . ويرى الغزالى أن الحياء نعمة من الله عليه وهدية اليه تدل

على اعتدال خلقه وصفاء قلبه وبشارة تبشر بكمال عقله عند بلوغه • فالصبى المستحى ينبغى ألا يهمل بل يستعان على تأديبه وتهذيبه بحيائه وتمييزه وحسن تفكيره •

وان أهم مرحلة فى التربيـــة فى اعتقادنا هى مرحلة الطفولة فاذا أهمل الطفل فى بدء حيـــاته خرج فى الأغلب فاســـد الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا فضوليا ، يميل الى المؤامرات والكيد والاساءة لغيره • ومن السهل أن يحفظ عن جميع هذه الصفات الذميمة بحسن التربية والتأديب وشغل أوقات فراغه ، وتكليفه فى المكتب تعلم القرآن الـــكريم ودراســـة حياة العظماء وحكايات الصالحين والأبرار وأحوالهم ليقتدى بها ويحذو حذوها وينغرس فى قلبه حب الأتقياء والصالحين • وفى الكتاب والبيت يجب أن يحفظ من الأشعار التى فيهـــا ذكر العشق وأصحابه كى لا يتأثر بها ويضيع وقته فى عبث ومجون • واذا ظهر من الطفل خلق جميل ، وفعل حميد وجب أن يكرم ويكافأ عليه ويشجع بالمدح عليه بين الناس ليفرح ويدخل السرور فى نفسه • واذا أخطأ مرة واحدة فالأفضل أن نتغافل عنه ، ونتجاهل هذا الخطأ ولا نهتك ستره ، ولا نكاشفه ولا نتحدث معه فى هذا الامر وخاصة اذا ستره الصبى واجتهد فى اخفائه • وان الغزالى حكيم كل الحكمة فى قوله : « وان عاد ثانية ينبغى أن يعاتب سرا ويحذر من العـــودة الى خطئه » وحكيم أيضا فى نصيحته للمربى بعدم الاكثار من عتاب الطفل كى يكون للعتاب أثره وارشاده للأب بقلة توبيخ ابنه • ولم ينس الغزالى أثر الرياضة البدنية كالمشى والحركة فى تربية الطفل ونشاطه ونصحه له بالتواضع وعدم الافتخار على الاقران والاعطاء لا الاخذ • ولم يترك الغزالى شيئا من الآداب العامة كآداب الجلوس والكلام والاستماع ومعاملة غيره من كبار السن واطاعة والديه ومربيه والمواظبة على الصلاة وأمره بالصوم أياما فى رمضان حتى يعتاد الصلاة والصوم فى الكبر •

وخير نصيحة نصح بها الغزالى فى تربية الطفل وتهذيبه العناية بتأديبه فى المرحلة الاولى من حياته فكما يكون الطفل يكون الرجل • فاذا عنينا بتربيته وهو صغير كان مهذبا وهو كبير • ويمكننا أن نقول بحق ان ما قاله الغزالى هنا خير دستور لتربية الطفل تربية خلقية مثالية كاملة وبعبارة أخرى أحسن دستور للتربية الاسلامية •

واننا نأسف أشـــد الأسف اذا قلنـــا ان التربية الخلقية الكاملة وبعبارة أخرى التربية الاسلامية مهملة كل الاهمال فى البيت والمدرسة

والمجتمع فى الوقت الذى نقول فيه ان سعادة الامم لا تتوقف على كثرة دخلها أو جمال مبانيها ولكنها تتوقف على عدد المهـــذبين والمهذبات من أبنائها وبناتها فبكمال الاخلاق تكون سعادتها وقوتها ونهضتها ٠

ولا يمكننا أن ندعى أن المدرسة وحدها تستطيع أن تقوم بتربية النشء تربيـــة اسلامية خلقية كاملة ٠ فهنـاك المنزل والبيئة الاجتماعية يشتركان مع المدرسة ولهما أثر كبير فى التربية الخلقية ٠ فلكى نصل الى الخلق الاسلامى الكامل يجب أن يقوم البيت بواجبه وتؤدى المدرسة واجبها ، ويكون المجتمع كاملا لا يهدم ما يؤسسه البيت أو تبنيه المدرسة حتى نستطيع أن نؤدى رسالتنا الخلقية فى العهد الجديد ٠

وان التربية الاسلامية توجب علينا أن نذكر دائما أننا لسنا فى حاجة الى العلم وحسب ، ولكننا فى حاجة الى كثير من الأخلاق الفاضلة فالعلم كثير والكتب لا نهاية لها ولكن الأخلاق النبيلة اليوم نادرة وهى التى تنـادى بها التربية الاسلامية وتطالب ببثها فى نفوس النشء فى كل نوع من أنـــواع التعليم حتى نستطيع أن نؤدى رسالتنا وواجبنا خير أداء ٠

واننا لا نقصد بالتربية الخلقية أن نلقن أبناءنا وبناتنا الفضـائل ومحاسنها والرذائل ومساويها بل نريد التفكير فى تهذيب أخلاقهم حينما تبدو الفرصة عرضا فى أى مكان يحلون به ٠ نريد العمل على تقويم المعوج من الأخلاق بالقدوة الحســـنة والمثـل الكامل ، والتفاهم برفق والتكلم على انفراد فيكون مثل المربى الطبيب الذى لا يعطى الدواء الا عند المرض والام الحكيمة التى لا تقدم لابنها الغذاء الا فى وقته حينما يشعر بالجوع ٠

ويجب أن يضع الآباء والامهات والمعلمون والمعلمات التربية الخلقية والروحية نصب أعينهم دائمـــا ويفكروا فى التربية الـــكاملة والاخلاق الاسلامية قبل أى شىء آخر ٠ ولكى تثمر العظة يجب أن نكون قدوة حسنة ومثلا عاليا لاولادنا لان فاقد الشىء لا يعطيه ٠ وأعتقد مخلصا أن أكبر أمر يجب أن نفكر فيه فى الوقت الحاضر هو ايجاد رجال مهذبين وســـيدات مهـذبات وتكوين شـــباب مهذب مثقف كريم الاخلاق ونصل بالمجتمع الى الكمال الخلقى الذى نرجوه وننشده فليست مشكلاتنا هى الجهل والفقر والمرض وحسب ولـــكن مشكلة المشـكلات هى الاخلاق

وتهذيبها . بين أطفال اليوم ورجال الغد ، من الطفل فى المهد الى الطالب فى الجامعة .

فاذا أردنا أن ننهض ونعيد مجدنا الاسلامى القديم وعظمتنا التليدة فعلينا أن نفكر فى العلم ونشره والتربية وتعميمها والاخلاق وتهذيبها فالامم لا ترقى بالمال أو الحصون ولكنها ترقى بالعلم والاخلاق .

وليس بعامر بنيان قوم اذا أخلاقهم كانت خرابا

فبالعلم والتربية الخلقية نستطيع أن نعيـــــد مجد المسلمين فى عصورهم الذهبية والحضارة الاسلامية والعربية ونقود العالم فى الحاضر والمستقبل كما كنا نقوده فى الماضى .

obeikandl.com